تعريفٌ بكتاب:
«الحجُّ، الميثاقُ المعهود»

هـذا الكتـاب نـشر حـول مسـائل الحـجّ المعنويـة في بـيروت، لذلـك قمنـا بتعريفـه في المجلـة

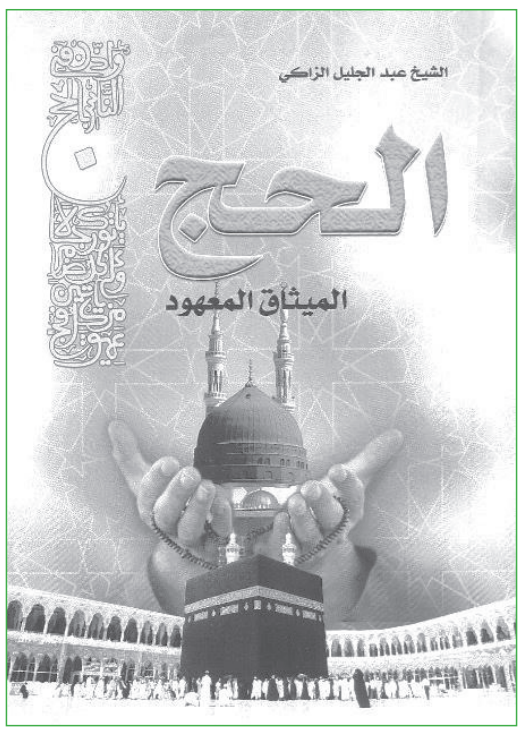

هـذا الكتـاب لمؤلفه الشريف الشـيخ عبدالجليـل الزاكي، الـذي قال في مقدمـة كتابه: ... إنّ السـير إلـى الله تعالـى يحتـاج إلـى شـحذ الهمـم، و في طـي طريـق الكمال والسـير والسـلوك طيّـاً حثيثـاً ليرتقي مرقاة بعد أخـرى ارتقاءً معنويـاً و روحياً و حسّـياً و عرفانياً بـما ينهلـه من المعـارف واللطائف التي بيّنها سـيّد المرسـلين... وبيّنها لوصيه ونفسـه وابن عمـه وصهره علي بن أبي طالـب والأئمة الطاهرين من ولده والبضعـة الطاهرة والصديقة الكـبرى فاطمـة الزهراء عليهـم أجمعين آلاف التحيـة والثناء والصلاة والسـلام.

فأرجـو مـن الله العـلي القديـر أن يسـهم في تحقيـق الهـدف المنشـود للأوليـاء عليهـم السـلام وأن يأخـذ بأيدينـا فنرتقـي بأرواحنـا و وجودنـا ونتسـامى بأنفسـنا وعقولنا إلى مـدارج الكـمال الروحـي والمعنوي والعرفاني بالسـير والسـلوك نحـو الله جـلّ وعلا وأن يخلصنـا بخالـص توحيـده ويجعلنـا من أحسـن عبيـده نصيباً عنـده...

نـشر هـذا الكتـاب في لبنـان ـ بـيروت ـ شركـة دار المصطفى لإحيـاء الـتراث، الطبعة الأولـى ١٤٤٤ هــ ـ ٢٠٢٢م، البريـد الالكـتروني، Info@ Dar – Al.Mustafa.Net ، **لبنـان ـ بـيروت ـ ص. ب. ١٩٧/ ٢٤**

***

(١) الحـجّ كـمال وانفتـاح عقـلي وقلبـي وعمـلي: ... تتوفـر فيـه كلّ الكـمالات حيث يتوافـد النـاس إلـى مكة مـن كلّ فجٍ عميـق ... و من خصوصيـات الحج أنه تشـييد لدين الفـرد والمجتمـع، لكن كلامنـا بالدرجة الأولى ينطلـق في الجانب الاجتماعي، فلا يتشـيّد ديـن الفـرد، رجـلاً كان أو امـراة، حتـى يتصـف بـكلّ الكـمالات، صحيـح أنّ الكـمال مفهـوم مشـكّك، أي نسـبي، بمعنـى أنه قد يكـون لدى فـرد ٢٠٪ وعند آخـر ٣٠٪ وعند ثالـث ٨٠٪ وهكذا، لكن لا يمتلك المرء حقيقة هذه الكـمالات إلّا اذا اتّصف بها كلّها...، ومـن المعـروف أنّ الإنسـان عندما يكـون في بلده يعيش حيـاة هنيئة، أما في السـفر تتجلى الأخـلاق ويظهـر المـرء علـى طبيعته ويتبـين مدى صـبره وتحمّلـه وخدمته للنّـاس، ومن

هنا كان الحجّ تشييداً للدين ؛ لأنه يكشف للإنسان حقيقة ما في قلبه، ومن جهة أخرى يسمو بدين الفرد إلى مراتب الكمال المطلق نحو الله تعالى في أدائه لمناسك العمرة والحجّ من دعاءٍ وتوسلٍ وطوافٍ وسعيٍ وهكذا حتى يصل إلى مرحلة (خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)، والتشييد للدين يعني التخلّق بأخلاق الله والتأدّب بآدابه... وفي العلاقة مع الله تعالى هناك خطّ صاعد من العبد إلى الله ، وخطّ نازل من الله إلى العبد. على سبيل المثال، يذهب قسم من الحُجّاج إلى المدينة ثم يعود إلى مكة المقدسة، وهذا نسميه خط الصعود إلى الكمالات وإلى الله تعالى؛ لأن العبد يصعد فيه من خلال العلاقة مع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والزهراء عليها السلام وأئمة البقيع الإمام الحسن والسجاد والباقر والصادق وحمزة بن عبد المطلب عليهم السلام ومن مجموع هذه الزيارات يحصل له الصعود في طريقه من أهل البيت عليهم السلام إلى الله تعالى. أما الخطّ النازل فهو الخط الذي يذهب من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة لزيارة أهل البيت عليهم السلام، وهذان الخطّان ليسا أمراً صعباً، وهذا موجود حتى في الجوانب الفكرية...الحقيقة، فإنّ الحجّ كبقية العبادات، فالصلاة والصوم والحجّ إمساك، وهو عامل مشترك بين هذه العبادات الثلاث، فالإحرام جهة اشتراك بين الصلاة والحجّ؛ لأنّ المرء حين يُحرِم في الحجّ كأنما كبّر تكبيرة الإحرام للدخول في الصلاة وامتنع عن مجموعة من المحرمات، لكن الصلاة أعظم الإمساكات الثلاثة؛ لأنّ مع الصوم والحجّ يمكن أن نخالط الناس ونتحدث معهم ونبيع ونشتري لكننا لا نستطيع فعل ذلك في الصلاة، فبمجرد أن نكبّر تكبيرة الإحرام يكون الحديث مع الناس مبطلاً... والحجّ دورة مركّزة شديدة شاقة على البدن من جهة وعلى النفس من جهة أخرى، والأعمال الشاقة والمتعِبة لا يذهب أثرها سريعاً، بل تلتصق بالإنسان أكثر فأكثر، يعني عندما يتعرض الإنسان لموقف شديد مؤثر لا ينساه بسهولة بل يبقى في مخيّلته، ويعيش في روحه، و عندما تلتصق روحه ومشاعره بالحجّ يتعب، و ربما تصيبه مصاعب خارجة عن إرادته وليست في حسبانه، فقد تغيّر الخطة حسب الوضع الميداني، وهذا أمر شاقّ يؤثر عليه، لكن هذه

المعـاني تركّـز و تلتصـق في ذاكرته أكثـر فأكثر... قـد لا نضمن وجود صاحـب الزمان عليه السلام في الأماكـن الأخـرى، لكـن في الحـجّ هنـاك روايات تـدلّ على أنه يحضـر الموسـم، وأنه أمـير الحـاج وهو المضيـف الذي يسـتقبل ضيوف الله تعالـى... ليس كلّ مسـتحب يترك، كالأذان والإقامـة؛ لأنهـا مفتـاح للدخول في الصـلاة، و كذلك بعض الأدعيـة و الأذكار؛ لأنّ الإنسـان يحتـاج إلـى وقـت للدعـاء لترسـيخ الشـيء في نفسـه، وحصـول التوجه و حضـور القلـب... و مـن نافلـة القـول إنّ في الحـجّ تنـزل فيوضـات مـن الله تعالـى على الحـاج وهـو مُحرم، والإحرام عقـد ارتباط بين المخلوق وخالقه، لذلـك ينبغي ألا يتخلص الإنسـان مـن هذا الارتبـاط... تـروك الإحرام تشـترك مع الصـوم والحـجّ والصلاة لكن الحـاجّ يـترك الطيـب والزينـة والنسـاء، بينما يسـتحب للمصلي التطيـب والزينـة، كما قال تعالـى: ﴿خُـذُوا زِينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسـجِدٍ﴾.[1] فنحتـاج إلى التزيـن؛ لأنّ ذوق الصلاة ذوق وصـالي وهـي تنهى عن الفحشـاء والمنكر، فتحتـاج إلى تطبيق عمـلي لأهدافها، بينما ذوق الحـجّ ميـداني وعمـلي وجهادي يحتك فيه الحجيـج مع بعضهم، وكلّ لـه فكر ومزاج وخلـق معـيّن، فكيف نتعامـل معه ونصبر علـى ذلك، فقد يأخذ شـخص مـكان غيره أو شـيئاً مـن ممتلكاته، وقـد يختلط حـذاوه بأحذية غيره فكيـف تكون نفسـيته و روحيته!... نسـأل الله أن يعطينـا هذه الكـمالات ويوفقنا لها وللقـاء صاحبنا عليه السلام وأن نستشـعر وجوده المقـدس في كلّ نسـك وحركـة نتحركهـا و كلّ مـكان نذهـب إليـه، وننظر إلى سـبحات وجهـه ليكتمـل الحـجّ بوجـوده، فالإكثار مـن الدعاء لـه بالفرج فـرج لنا...

(٢) الكـمال الفطري والمعـرفي والعرفاني:... ولكي يكون لحديثنا حول السـيرة العطرة للنبـي الأكـرم صلى الله عليه وآله معنـى وقيمة لابـدّ أن نتعرف علـى حقيقـة مقاماته، من خـلال مبادئه وقيمـه و عبادتـه، كتأديتـه لمناسـك الحـجّ من خـلال إحرامه وطوافـه حول البيـت الحرام الـذي طـاف حولـه جميع الأنبيـاء... عند مـا مرّ النبـي الأكـرم صلى الله عليه وآله بصفائـح الرَّوحاء لبى

١. سورة الأعراف: ٣١.

قائلاً: «**لبيك ذا المعارج لبيك**»، وهذه عبارة تحوي أسراراً إلهية، لأنّ في الحالة الطبيعية أن تأتي التلبيات متعاقبة حسب التعاقب الزمني للأنبياء. وللتقريب عندما نتحدث عن إنجازات في سنوات معينة نقول: كان إنجاز السنة الأولى كذا، و رائد الإنجاز فلان، وإنجاز السنة الثانية كذا، و رائد الإنجاز فلان وهكذا، فالمفترض أن يبدأ بتلبيات الأنبياء بالتسلسل، بينما نلاحظ في هذا الدعاء أنه بدأ بتلبية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «**لبيك ذا المعارج لبيك**».[1]

... و قد ورد عن سليمان بن مهران، قال: دخلت على الصادق عليه السلام وعنده نفر من الشيعة فسمعته وهو يقول: «**معاشر الشيعة، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفّوها عن الفضول وقبيح القول**». و عنه عليه السلام أنه قال للمفضل: «**أي مفضل، قل لشيعتنا كونوا دعاة إلينا بالكفّ عن محارم الله، واجتناب معاصيه واتباع رضوانه، فإنهم إذا كانوا كذلك كان الناس إلينا مسارعين**».[2]

ونحن كحُجّاج، ما مقدار عروجنا الروحي والمعنوي بالنسبة للتلبية والعمرة والحجّ وقربنا من الله عزّوجلّ؟! هل تغيّرنا أم أنها مسألة أداء فرض؟ وهل الإحرام يقيدنا؟ المسألة اختبار لصبرنا، هل عندنا قدرة على التحمّل؟ وهل نشكر الربّ أو نكفر ؟!

لما ذا قيل في الرواية: «**ما أكثر الضجيج وما أقلّ الحجيج**».[3]

---

١. عن أبي عبدالله عليه السلام قَالَ: «مَرَّ مُوسَى النَّبِيُّ عليه السلام بِصَفائِح الرَّوحَاءِ عَلَى جَمَلٍ أحمَر خِطامُهُ مِن لِيفٍ عَلَيهِ عَبَايَتَانِ قطوَانِيتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: لَبَّيكَ يَا كَرِيمُ لَبَّيكَ؛ ومَرَّ يُونُسُ بنُ مَتَّى عليه السلام بِصَفائِح الرَّوحَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: لَبَّيكَ كَشَّافَ الكُرَبِ العِظَامِ لَبَّيكَ؛ و مرّ عيسى بن مريم عليه السلام بِصَفائِح الرَّوحَاءِ وهو يقول: لَبَّيكَ عَبدُكَ وَابنُ أمَتِكَ لَبَّيكَ؛ وَ مَرَّ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله بِصَفائِح الرَّوحَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: لَبَّيكَ ذَا المَعَارِجِ لَبَّيكَ». علل الشرائع ٢: ٤١٩.

٢. شرح الأخبار ٣: ٥٠٦.

٣. بصائر الدرجات: ٢٩١.

لأننا لم نتحقق بحقيقة الحجّ، ولم نغيّر من أنفسنا شيئاً، بينما من المفترض علينا معرفة تعاليم الدين، فكيف نتجنب المعصية ونحن لا نعرفها، لذا نريد أن نعرف سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لمعرفة الشريعة الحقّة. ولكي نصل إلى الله تعالى لنتعرف على أنفسنا أولاً، فتارة يكون إليه عزّوجلّ بمعرفة أنفسنا، وأخرى بمعرفته هو تعالى كما في الدعاء: «بك عرفتك»، فالنظرة من الأعلى أشمل من النظر من الأسفل، ومن ينظر إلى جانب الروحي والمعنوي تكون نظرته أوسع، والحجّ هو ذلك الجانب من حقيقة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ومن سيرته وسلوكه وعبادته، فقد حجّ مراراً ولم يحجّ حجة الوداع فقط...

الحركة العروجية: ١. الكمال الفطري. ٢. الكمال المعرفي: وهو الذي يتولّاه القرآن، فحين يوضع الكمال الفطري تحت تربية القرآن الكريم يصل إلى الكمال العقلي، أي المعرفي. ٣. الآية: ﴿**جَعَلَ اللهُ الكَعبَةَ البَيتَ الحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ**﴾.[١] ... كمال الفطرة بالقرآن الكريم يتحوّل إلى كمال المعرفة، وكمال المعرفة بالكعبة المشرفة، أي أنّ الحجّ المحمدي يأخذ الإنسان إلى الكمال العرفاني وليس المعرفي، وقد ذكرنا في بداية الحديث: «لبيك ذا المعارج لبيك»، فيحتاج الحاجّ إلى عروج روحي ومعنوي، وهو يكون في الطواف حول الكعبة، و قد ذكرنا سابقاً أنّ الطواف لا يعني الدوران إنّما يعني الذهاب و الإياب... فإذا ذهبنا إلى المسجد الحرام ينبغي لنا أن نجلس عند الكعبة قبل الصلاة لنفكّر ونتأمّل فيما ذكرناه من حديث، فنحن نطوف حول مهد علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد أمر الله تعالى النبي إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام أن يطهّرا البيت للطائفين والعاكفين والرّكّع السجود، وكلّ ذلك من أجل علي بن أبي طالب عليه السلام، ينبغي أن نعيش بفكرنا ومشاعرنا، فلا فائدة من معرفة السيرة دون أن نتعايش معها بالمشاعر والأحاسيس، فلنتأمل وسيفتح الله تعالى لنا الآفاق إن شاء الله...

١. سورة الأعراف: ٣١.

(٣) الكعبة مركز التوحيد ومظهر الولاية ومهوى القلوب:... دحو الأرض الذي بُسطت فيه الأرض من تحت الكعبة، وهي مركز الكون عند الإنسان وأساس تكوينه وانطلاقته، وشاء تعالى أن يجعلها مركز التوحيد الإلهي، كما أنّها رمز لولاية عليّ، وفيها اكتملت النبوات والرسالات وما جاء به الأنبياء والأوصياء في رسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. والحجُّ الإبراهيمي في واقعه حجّ محمدي علوي فاطمي حسني حسيني سجادي مهدوي، لأنّ معناه القصد، ولله قصد السبيل، أي أن يقصد الناس الله في أيام معلومات ويذكروه في أماكن معلومة، وهنا تأتي عملية التجلي الزماني والمكاني، فالمكان عظيم والزمان عظيم، ويحتاج إلى جلوة روحية ليستفيد من تلك الجذبات الإلهية النازلة عليه؛ لكونه استفاد من الجلوة الزمانية والمكانية... وتمثّل الكعبة مركز التوحيد ونبذ الشرك، فهناك دعوة من الله وأمر للنبي إبراهيم عليه السلام بالأذان وأن يبنيها على التقوى والتوحيد: ﴿**أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ**﴾،[1] فهي رمز التوحيد و توحيد الكلمة، ونبذ الشرك والبراءة من المشركين بجميع أصنافهم، من هنا كان الحجّ الذي يفتقد البراءة ليس بحجّ. فيجب على الأمة الإسلامية والشعوب الإسلامية وعلى الحجيج أينما كانوا يكون عندهم رمز توحيد الكلمة (**لا إله إلّا الله**): ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾،[2] والكلم الطَّيِّب هو: (**لا إله إلّا الله**) وحقيقتها اتباع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في جميع ما جاء به من تعاليم السماء... الكعبة مظهر للوحدة والصحوة الإسلامية، كما ينبغي أن تكون الكعبة مظهراً للصحوة الإسلامية بإنشاء مؤتمرات ولقاءات مع الشعوب وممثليها مع الحملات وتبادل الجوانب الفكرية والثقافية لكلّ منطقة والتعرف على هموم الدول الأخرى وكيفية معيشتهم وترشيد الصحوة الإسلامية... إنّ الحجّ مظهر إعلامي كبير، فحينما نذهب إلى الحجّ فنحن في الواقع رسل لديننا ومبادئنا وقيمنا، ونحن على مذهب أهل البيت عليهم السلام، فلا بدّ

١. سورة البقره: ١٢٥.

٢. سورة فاطر: ١١.

أن نتحلّى بأخلاقهم وفكرهم وبحالة الوحدة والاتحاد ونبذ الفرقة والافتراق ومحاولة إبراز مبادئهم بالشكل المطلوب...

(٤) الحجُّ تمرين الإنسان على العبودية:... وكما تحتاج معرفة الحقّ إلى قائد واعٍ تحتاج إلى أمة واعية، ذلك أنّ القضايا الاجتماعية والسياسية بوجود القائد يكون الهدف واضحاً ومنصوراً، فالله تعالى يقول عن المؤمنين بالحقّ: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمرٍ جَامِعٍ لَم يَذهَبُوا حَتَّى يَستَأذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَستَأذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِاللهِ وَ رَسُولِهِ**﴾[1] ... من جهة أخرى، فإنّ الاكتفاء الذاتي للأمة جزء من معرفة الذات، ولا بدّ للأمة أن ترجع إلى ذاتها، أي إلى القرآن وأهل البيت عليهم السلام وتأخذ هذه المبادئ وتتعبّد بها، وإلّا لا يمكن أن تصل إلى نتيجة... ومع أنّ الإسلام قسم إلى ثلاثة أقسام: آية محكمة، وفريضة عادلة، وسنة قائمة، وماخلاهنّ فهو فضل، لكننا عندما نفسّر هذه الأقسام من المعلوم سنجد علوماً تجريبية تنضوي تحتها كما أشار إلى ذلك الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «**لا يستغني أهل كلّ بلد عن ثلاثة يُفزع إليهم في دنياهم وآخرتهم، فإن عدموا كانوا همجاً: فقيه عادل، وأمير خيّر مطاع، وطبيب بصير ثقة**».[2] ... ونحن للأسف قد نتّجه في الحجّ إلى فلسفة معاني حركات الحاجّ والحجّ ونغفل عن مسألة مهمة، وهي أنّ الحجّ تمرين للإنسان على حالة العبودية. فهوكفيل بتربية الإنسان روحيّاً في مسألة التعبد لله، وليس بالضرورة معرفة الحكمة من هذا العمل، لكن هذا الانسياق والإذعان لله تعالى في الوقوف في أرض قاحلة من الزوال إلى الغروب ثم الخروج إلى مزدلفة للمبيت، وحين يُسأل الحاج عن سبب الوقوف بين هذه الجبال وتلك الوديان وفي هذه الأرض القفر والمكان الموحش؟ يقول: تعبداً لله وامتثالاً لأمره وطاعة له وانقياداً لأمره... روى

١. سورة النور: ٦٢.
٢. تحف العقول: ٣٢١.

الشيخ الكليني عن معاوية بن عمار أنه لما أفاض رسول الله صلى الله عليه وآله تلقاه أعرابي بالأبطح فقال: يارسول الله، خرجت أريد الحجّ فعاقني، وأنا رجلٌ ميّل، فمرني أصنع في مالي ما أبلغ به الحجّ، قال فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جبل أبي قبيس فقال: «**لو أنّ أبا قبيس لك زنته ذهبة حمراء وأنفقته في سبيل الله ما بلغت ما بلغ الحاجّ**».[1] ...

(٥) الحجُّ الإبراهيمي .. لقاء الإمام:... وللنبي محمد صلى الله عليه وآله مقام العروج إلى الله تعالى، فقد حصلت له معجزة الإسراء والمعراج في ليلة واحدة، حيث أسرى به ليلاً من المسجدالحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به إلى مقام قاب قوسين أو أدنى دنوّاً واقتراباً من العلي الأعلى، وهذا المقام لم ينله ملك مقرب ولا نبي مرسل.

فالنتأمّل عندما نقرأ الدعاء ونلبّي بقول: «**لبيك ذا المعارج لبيك**»، لنتعرف على معناه لنعيش بمشاعرنا وأحاسيسنا ولنلتمس الحضور الإلهي بين يدي الله، ونستشعر تعلق النبي إبراهيم عليه السلام بأستار الكعبة متضرعاً على تلك الصخرة فتلين متأثرة بقدميه ويكون لها شأن وتكون مقاماً يقصده كلّ من أراد الطواف حول الكعبة، فلابدّ أن نستحضر هذه القضية الروحية ونفهم فلسفة الحجّ لتكون نتيجة ذلك العروج إلى الله تعالى... أثر الولاية في صحّة الحجّ، فقد قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ لَا تُبطِلُوا أَعمَالَكُم**﴾.[2] وقد ربطت الآيات والروايات مصير السلوك الإنساني بالإمامة والولاية، فلا يمكن أن يقبل الله عملَ عبدٍ مهما كثر وبلغ من الإخلاص ما بلغ بدون الإقرار بولايتهم واتّباع نهجهم، وأصرح من ذلك كلّه ما ورد في صحيحة زرارة عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**أما لو أنّ رجلاً قام ليله، وصام نهاره، وتصدّق بجميع ماله، وحجّ جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان**»، ...

---

١. الكافي ٤: ٢٥٨.

٢. سورة محمد: ٣٣.

(٦) **السير إلى روح الولاية**:... يؤكد الإمام الباقرعليه السلام في حديثه بأنّ: «**تمام الحجّ لقاء الإمام**»، وقد يكون ذلك اللقاء حسيًّا أو معنويًّا ظاهراً أو شعوريًّا بعواطف الإنسان وبقلبه وبروحه، وقد يكون ماديًّا، ويقصد الإمام الباقرعليه السلام بلقاء الإمام أنّ اللقاء ليس مجرد لُقيا عابرة كسلامٍ على شخص مّا نصادفه في الطريق، إنّما عرض الأعمال على الإمامعليه السلام كما يشير في قوله: «**ويكون أعماله بدلالته إليه**».[1] أي يأخذ دليله من الإمامعليه السلام إلى الله تعالى في عروجه الروحي وتعاليمه وآداب العلاقة مع الله ومع النفس ومع الكون من الإمامعليه السلام، وهذا ما عبّر عنه الإمام عليعليه السلام: «**ما رأيت شيئاً إلّا و رأيت الله قبله ...**».[2] يعني أنّ كلّ شيء يدلُّ على توحيد الله وعلى قدرته وتدبيره وحكمته و وحدانيته. لذا نقرأ في الزيارة الجامعة: «**من أراد الله بدأ بكم ومن وحّده قبل عنكم**». فمن يريد الله عزّوجلّ فليسلك هذا الطريق؛ لأنه لا اعوجاج فيه... ونحن حينما نتخلق بأخلاق الله ونحمل الحبّ لأهل البيتعليهم السلام هل يمكن أن يرجعونا خائبين، إنّ الاطلاع على سيرتهمعليهم السلام من ناحية نظرية لا قيمة لها إلّا إذا عرفنا مقاماتهم وحقيقتهم النورانية، عندها سنعرف معنى قول الإمام الصادقعليه السلام: «**إنّ الحسن من كلّ أحد حسن وإنّه منك أحسن لمكانك منا وإنّ القبيح من كلّ أحد قبيح وإنه منك أقبح**». أخي الحاجّ، أنت رسول و رسالتك إلى العالم مبادئ و قيم وخلق أهل البيتعليهم السلام و قد ورد عن سليمان بن مهران قال: دخلت على الصادقعليه السلام وعنده نفر من الشيعة فسمعته وهو يقول: «**معاشر الشيعة، كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفّوها عن الفضول وقبيح القول**».[3] ... فحقيقة الحجّ التعرّف على أولياء الله تعالى وعلى وليّ الله الأعظمعليه السلام وعرض النصرة عليه، وهذه الحركة كانت تمثّل الولاية الحقيقية...

١. وسائل الشيعة ٢٧ : ٧٧.
٢. شرح أصول الكافي ٥ : ٩٣.
٣. بحار الأنوار ٦٨ : ٣١٠.

(٧) حقيقة الحجّ ومحورية وليّ الله الأعظم:... إنّ حقيقة الحجّ هي العبودية لله وحده لا شريك له ونبذ كلّ عبودية لغيره، أو صنمية للأوثان من إنسان أو حجر أو مال أو منصب أو مكانة اجتماعية، وحقيقة هذا الأمر الانقياد لولاية أهل البيت عليهم السلام كما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام: «**تمام الحجّ لقاء الإمام**»، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّما أمر الناس أن يأتوا هذه الحجارة فيطوفوا بها ثمّ يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا وهو قول الله: ﴿**إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهتَدَى**﴾، **وأومأ بيده إلى صدره، أي إلى ولايتنا**».[1]... والكعبة أجلى مظهر للتوجه إلى الله تعالى والعبودية، أمّا عن العلاقة بين التحول الذي قد يحصل للحاجّ في أدائه مناسك الحجّ والتحول الذي يعتبر نقطة الأوج في كمال الإنسان ومسيرة التكامل... ينبغي لنا أن نلتفت حين نذهب إلى الحجّ، الإمام المنتظر عليه السلام يحضر الموسم الذي ينظر فيه إلى شيعته فيعرفهم ولا يعرفونه، كما روي عن محمد بن عثمان العمري رحمه الله أنه قال: «**والله إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنة، يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه**».[2]... ولا بدّ من التأكيد على الحاجّ أنّ يتحقق بهذه الحقيقة ويتلمّس بصيصاً من النور الإلهي، فحينما نقول حاجّ لا نعني من يذهب إلى الحجّ فقط، وإنّما إشارة لهذا الموسم الذي يحضره الإمام عليه السلام والمتيقن حضوره فيه، لكن قد لا نتيقن من حضوره معنا، لكنه يقيناً حاضر كما في الرواية: «**تمام الحجّ لقاء الإمام**».[3]

(٨) الولاية وتحقيق العدالة الاجتماعية:... وقد تناولت النصوص الشرعية الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام الأبعاد الروحية والمادية للحجّ وعلة تشريعه والأهداف المقدسة التي استهدفتها هذه العبادة العظيمة من تلك النصوص على سبيل المثال لا الحصر، فقد روي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الخطبة الأولى من نهج البلاغة:

---

١. أصول الكافي ١ : ٣٩٣.

٢. بحار الأنوار ١٣ : ٢٢٩.

٣. بصائر الدرجات : ٣١٧.

«وفرض عليكم حجّ بيته الحرام، الذي جعله قبلة للأنام، يردونه ورود الأنعام، ويألهون إليه ولوه الحمام، جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، وإذعانهم لعزته، واختار من خلقه سمّاعاً أجابوا إليه لدعوته، و صدّقوا كلمته، و وقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عنده موعد مغفرته، جعله سبحانه للإسلام علماً، وللعائذين حرماً. فرض حجّه، وأوجب حقه، وكتب عليكم وفادته، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1] ...».

ولا يقف أثر الحجّ عند هذا الحدّ فحسب، فمن الحجيج من يُعتق من النار ويرجع كمن ولدته أمّه، يعني يقال له استأنف العمل وأنت على خطر عظيم، ومعنى ذلك أنّ ليس كلّ من ذهب إلى الحجّ يحصل على قيمته... وحتى في رمي الجمار رميٌ للأصنام البشرية وغير البشرية والمعنوية والباطنية ليخرج الحاجّ من حجّه وهو أتمّ الاستعداد لضرب جميع الأوثان والأصنام كصنميّة النفس الأمّارة بالسوء وصنميّة البشر والشيطان وحبّ الدنيا والشهوات والرغبات ليتحرّر منها، وتكون مملكته كلّها ملك إرادته تعالى يتصرّف فيها كيفما يشاء فلا يرى بعدها شيئاً إلّا و يرى الله قبله ومعه وبعده وفيه، والإرادة الإلهية هي التي تحكمه في فكره وأحاسيسه ومواقفه فيفعل ما يريده الله تعالى ويترك ما سواه ولا يخاف فيه لومة لائم... و لو حقّق كلّ شخصٍ منّا العدالة في نفسه لعشنا في مجتمع ملؤه الوئام والصدق والوفاء والمحبة والمودة والسلام، ولانرى بعدها الحروب وإراقة الدماء والتدمير وقتل النساء والأطفال والشيوخ وتفجير الآمنين من المسلمين وغير المسلمين في العالم. إنّ الأمة الإسلامية تفتقر إلى العدالة في نفسها و واقعها وتحتاج أن تحقق العدالة لتستطيع أن تكون مناراً للهدى وللعدالة في العالم كله، ولايعني ذلك أنه لاتوجد عدالة، لكن العدالة المنشودة

١. وسائل الشيعة ١١ : ٩.

لم تتحقّق بعد حتى اليوم... كما أنّ أسوأ الشرور التي نعيشها اليوم هو أن يتبدّل المعروف إلى منكر ويصبح المنكر معروفاً، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فكيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف، فقيل له: يارسول الله، ويكون ذلك؟! قال صلى الله عليه وآله: نعم، وشرّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً**».[1] والأمة الإسلامية مبتلاة بذلك وتحتاج إلى هزّة من الأعماق لتعديل الموازين والعودة إلى العدالة، فعندما يتغيّر مفهوم الجمال وتصل الإرادات إلى قمّة الانحراف فيحكم الظلام المطلق يمكن جعل لَبِناتُ الطّين مكان الذهب ...

(٩) **استيقظوا من نومكم وعودوا إلى ربّكم**:... وأمر الله تعالى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بأن يخبرهم بأنّ هذه الهداية إلى سبيل الله إنّما هي في الحقيقة من الهدايات الإلهية إلى الصراط المستقيم، ليميل العبد عن الشرك وينفيه ويبعده تماماً ويجعل ميله إلى التوحيد الإلهي، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما رأيت شيئاً إلّا و رأيت الله قبله و...**».[2] أي أنّه لا يرى شيئاً إلّا ويرى فيه قدرة الله وتدبيره وحكمته وعظمته وقهره وتجلي صفاته في مخلوقاته، فالإمام عليه السلام في حالة العبودية لله تعالى، والأمر ذاته في حركة الإمام الحسين عليه السلام، وستعيش الأمّة الإسلامية في الأيام المقبلة أيام الحجّ ويوم عرفة الذي يقرأ فيه دعاؤه المعروف عليه السلام وما يحويه من معان ومضامين إلهية توحيدية عظيمة لا نراها إلّا في أهل البيت عليهم السلام الذين قال فيهم عزّوجلّ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾، فهم يعيشون حالة انقياد وتسليم لله تعالى ...

(١٠) **الحجّ: الميثاق المعهود**:... عند التأمّل في حصيلة الحجّ نجد أنّ لهذا الموسم في حياتنا إحدى ثلاث حالات:

---

١. تهذيب الأحكام ٦ : ١٧٧.

٢. شرح أصول الكافي ٥ : ٩٣.

١. صنفٌ لم يرجع بشيءٍ من عطاءات الحجّ العظيمة، ولم يربح شيئاً منها، بمعنى أنّ حصيلة الإنسان في هذا الموسم العظيم خاسرة خسارة عظيمة. إننا في هذه الحالة لم نرجع من العطاءات الروحية بشيء؛ لأننا دخلنا موسم الحجّ ونحن لانملك روحانية، وخرجنا منه كما دخلنا، ومن خلال صلاتنا ودعائنا وتلاوتنا للقرآن وذكرنا الله تعالى نكتشف حقيقة أننا لم نكسب من معطيات الحجّ شيئاً. لذلك لم نربح شيئاً من العطاءات الأخلاقية للحجّ، فقد دخلنا فريضة الحجّ ونحن بمستوى أخلاقي منخفض وخرجنا منها بمستوى أخلاقي منخفض، فأخلاقنا داخل الأسرة لم تتحسن لا الزوجين مع بعضهما، ولا الوالدين مع أبنائهما ولا أخلاقنا مع بعضنا الآخر فلم تتطهر قلوبنا من الحقد والحسد والغش والشحناء والبغضاء، وذلك هو الخسران العظيم. كذلك لم نرجع بشيءٍ من العطاءات الثقافية والفكرية والإيمانية، ولم نحصل على شيء مما يملكه الحجّ من ثورة ثقافية وفكرية ومفاهيمية وإيمانية، و ذلك هو الخسران المبين. ولم نربح شيئاً من التقوى والورع من خلال الحجّ و مبادئه وفي كلّ حركته وفي أداء مناسكه العظيمة، فما زال بعضنا يصلي ويغتاب الناس، ويقرأ القرآن ويأكل الحرام، فما قيمة هذا الحجّ؟ وما قيمة هذه الفريضة وهذه المناسك التي أدّيناها في الحجّ؟! ومن هنا يمكن أن نقول بأننا لم نربح شيئاً من العطاءات الرسالية للحجّ، ولم نمارس دعوة إلى الله تعالى، ولم نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، بل لا زلنا نمارس الكذب والافتراء على الآخرين، وخلاصة القول إنّ الخسارة في هذا الموسم العظيم الذى يمكن أن يتعلق به الإنسان في جميع جوانبه كانت خسارة الحاجّ للمغفرة والرضوان الإلهي.

٢. صنف منّا فرط في الاستفادة من هذا الموسم العبادي، بمعنى أنّ حصيلة الأرباح الروحية والأخلاقية والثقافية والفكرية جاءت منخفضة، وكان بالإمكان الحصول على مستوى أعلى في هذا الجانب، لكننا ـ أو بعضنا ـ فرّط فيها وهو أشدّ حسرة

يـوم القيامـة ويتطلـع إلى تلـك المقامـات التي حصـل عليها غـيره؛ لأنّهم اسـتثمروا هذه المناسـك وحصلـوا علـى مسـتوى راقٍ بالقرب مـن الله تعالى.

٣. صنـفٌ منّـا حصـل علـى الأربـاح في موسـم الحـجّ، فكانـت أرباحـاً كبيرة جـدّاً، فالخشـية مـن الله ارتفعـت درجتها في داخلنـا، وفي نفوسـنا وأرواحنا وقلوبنا، وسـيطرت علـى جوارحنـا وجوانبنـا، فحينـما يلبـس الحـاجّ الإحـرام يعيـش حقيقـة الخشـية الإلهية وكأنـه يلبـس كفنـاً بعد نزعـه لبـاس المعصيـة والذنـوب والابتعـاد والمخالفة الإلهيـة،... وتحريـم كلّ معصيـة ومخالفـة لأمـر الله تعالـى على نفسـه فكان يعيـش الخشـية لله تعالى فاسـتثمرها، وحـين طـاف ولبّـى انتابتـه الخشـية كـما تنتـاب الإمـام ـ مـع الفـارق ـ حين يلبـي يختنـق بعبرتـه ويُسـأل لم لا تلبّـي يابـن رسـول الله؟ فيقـول عليه السلام: «**أخـاف أن ألبّـي ويـأتي النـداء مـن الله تعالـى لا لبيـك لا سـعديك**».[1] وحينما يطـوف الحاجّ حـول الكعبة المقدسـة ويحلّـق بروحـه نحـو الله فيعيش قمّة الخشـية منـه تعالى، وهـي ترافقـه أينما كان وهكـذا في كلّ حركاتـه لمناسـك الحـجّ والعمـرة، والشـوق إلـى عطـاء الله اشـتدّ و قـوي والحيـاء مـن الله تعالـى تجـذّر أكثر، وحـبّ الله ارتقـى في الأرواح والعقول فصـار كما كان يقـول أمير المؤمنـين عليه السلام: «**مـا رأيـت شـيئاً إلّا و رأيـت الله قبلـه وفيـه وبعـده**».[2] حصيلـة الأربـاح الأخلاقية كبيرة، فالمسـتوى الأخلاقي تحسّـن كثيراً، و برز واضحـاً في العلاقات الأسريـة بـين الزوجين، وبـين الوالديـن وأبنائهـم وكذلك بـرزت واضحـة في العلاقات مـع الآخريـن، فالقلـوب أصبحـت طاهـرة نقية خاليـة من الحقـد والحسـد والغش ومن الشـحناء والبغضـاء، والتهاجـر والتدابـر والتقاطـع، وقـد انتهـت تلـك الخلافـات في أنفسـهم وتمت تصفيتهـا. حصيلـة الأرباح الثقافيـة كبيرة قويـت عندنا، والوعـي الديني ترسَّـخ وتعمق من خـلال الحجّ. حصيلة التقـوى والورع كبيرة أيضـاً، فأصبحت الصلاة

١. أمالي الصدوق : ٢٣٤، ٢٤٧.

٢. شرح أصول الكافي ٥ : ٩٣.

تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأصبحت تلاوة القرآن ترشّد السلوك العملي الخارجي في حياتنا وأصبح الذكر يقودنا إلى الاستقامة على الطريق، وأصبح الصيام طريقاً إلى التقوى والورع عن محارم الله. حصيلة الأرباح الرسالية كبيرة فأصبحنا نمارس الدعوة إلى الله تعالى وقوي فينا حسّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاد عندنا حسّ المسؤولية تجاه ديننا وأسرنا ومجتمعنا وقيمنا ومبادئنا و إمامنا ونشط دورنا الثقافي والاجتماعي والجهادي. كذلك حصيلة الأرباح العقدية كبيرة جدّاً، فعظمت تلك العلاقة التوحيدية بيننا وبين الله تعالى فحركة الحجب حركة توحيدية ورمز توحيد الله العبادة والتألق التوحيدي فكبرت في نفوسنا كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة في اجتماع الأمة في هذه الأماكن كمؤتمر من أعظم المؤتمرات الدولية في العالم كلّه.

(١١) من معطيات الحجّ بعد أدائه:... أهمّ معطيات الحجّ:

١. **شعيرة عبادية سياسية:** تتجلى آثارها السياسية تماماً كما تتجلى آثارها العبادية، ولقد خلق الله الكعبة المشرفة وجعلها مركزاً للطواف في مواسم الحجّ ومظهراً من مظاهر جماله، ومحوراً لجلاله، ففي زيارة البيت العتيق تتجلى آثار التهذيب والتزكية الروحية، وتبرز حالة البراءة من الشرك والمشركين، فالتولّي العبادي للحجّ مظهر لجمال الله، والتبرّي السياسي أنموذج لجلال الحقّ جلّ وعلا... وهكذا ينبغي للحاجّ أن يكون بعد رجوعه من الحجّ حاملاً هذا الفكر والمبدإ والميثاق والعهد الإلهي بينه وبين الله، لابدّ أن يرجع الإنسان من الحجّ حاملاً هذه الحقيقة بكلّ قوة وصلابة وإرادة فولاذية كما حملها أبو الأحرار الإمام الحسين عليه السلام...

٢. **الحجّ مظهر التوحيد الإلهي والوحدة الإسلامية العامّة.**

٣. **مظهر من مظاهر إلغاء جميع حالات التمييز والعنصرية والطبقية واللون والشكل**، وجعل الحجيج يسيرون في مسار واحد ويعرف الإنسان أنه من آدم، وآدم من تراب، وأنه لا فرق بين العربي والأعجمي إلّا بالتقوى...

٤. **إقامة العدل الإلهي** وهذا أمرٌ مهمٌ أيضاً، فالحجّ يلغي هذه التمييزات ويحقق العدالة الاجتماعية معانيها الواسعة الاقتصادية والسياسية... كانت هذه بعض عطاءات شعيرة الحجّ الإلهي التي ينبغي أن يرجع إليها، والتي تحمل بين جنباتها حقيقة التهذيب الروحي والأخلاقي ليتوجه الإنسان في دعائه وعبادته إلى الله، ويجعله محوره الأساسي، وليس الأنا ولا العنصر ولا اللون ولا الغنى ولاالفقر...

(١٢) **مكتسبات الحجّ** ...الحجّ عبادة لها معطيات ومكاسب، من أهمها أنّ الحاجّ يرجع كما ولدته أمّه صافياً من جميع الذنوب والمعاصي والآثام، ويستأنف العمل من جديد وقد جعل قلبه منطلقاً لتوحيد الله تعالى وللحصول على الكمالات الروحية والأخلاقية والعقدية والاجتماعية بل في جميع النواحي، وعاش قمّة التوحيد ونفي الشرك والصنميّة وكلّ معبود سوى الله، وجعل قلبه كعبة لله وعرشاً للرحمن تعالى الذي لا تسعه سماء ولا أرض إنّما يسعه قلب عبده المومن... ومما ينبغي الالتفات إليه أنّ المقصود بالحاجّ لا يقتصر من ذهب إلى الحجّ فقط، بل يشمل حتى من عاش موسم الحجّ بمشاعره وأحاسيسه وعواطفه في كلّ منسك يقوم به الحاجّ، وهذا يعني أنّ حتى مَن لم يحجّ من الممكن أن يلبّي وينادي بهذا النداء الإلهي... ونحن يوميّاً نفتتح الصباح بدعاء العهد ونجدد العهد مع ـ إمام العصر صاحب الزمان عليه السلام ـ على نصرته وعلى اتباعه ونعاهد الله تعالى على ذلك حتى لو خرجنا من الحياة الدنيا كما في الدعاء: «..**أخرجني من قبري مؤتزراً كفني شاهراً سيفي مجرِداً قناتي**..»،[1] يعني أنّ الإنسان يعيش ذلك بفكره ومشاعره وعواطفه وسلوكه العملي، وهذه هي حقيقة الانتظار والعمل وحقيقة الحجّ وهذه المكتسبات الإلهية لذلك أراد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أن يحقق هذه الحقيقة و يؤكد على الولاية لعليّ عليه السلام ... وحقيقة الرسالة هي إظهار حقيقة الولاية والخلافة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، واستمرار الرسالة بوجود

١. مفاتيح الجنان، دعاء العهد.

الـولي عـلي بن أبي طالـب عليه السلام بصريح كلام رسـول الله صلى الله عليه وآله وإجماع المسـلمين بـأنّ أقضاكم عـليّ، وأعلمكـم عـليّ، بـل واعترفوا له بذلـك، كما قيل: لا أبقـاني الله لمعضلة ليـس لها أبو الحسـن عـليّ، ويُحـاروا في مشـاكلهم ويقـال لهـم: أين أنتم عـن عـليّ، وهنا يقـول القائل: عـلي كالكعبـة يؤتـى إليه ولا يـأتي ويقصدونه فيحـلّ لهم مشـاكلهم، وعليّ الـذي قال عنه رسـول الله صلى الله عليه وآله: «**لا يحبـك إلّامؤمن ولا يبغضـك إلّا منافق**»، يعني هو الفـاروق بين الحقّ والباطـل وبه يميـز المحـبّ والمنافق...

(١٣) مراتـب الذكـر.. تجليـات الحـق: ... يُعـدّ الحـجّ شـعيرة عظيمة تحمـل الكثير من الأسرار، وحركـة نحـو الكـمال المطلـق وهـو الله تعالى، وهي مسـيرة تحتاج إلـى زاد وجهد و تأمّـل ومعرفـة للهـدف والآليـات التـى توصـل الإنسـان إلى الله تعالـى، فلابـدّ أن يقف وقفـة تأمّـل قبل تأدية مناسـكها. ونحن قـد أتينا من شـقة بعيدة وخلفنا الأهـل والأصدقاء والأمـوال والوطـن لنتعـرض إلـى نفحـات الله في الأماكن المقدسـة ونتعرّف إليـه تعالى في هـذه المقامـات العظيمة، وفي لبسـنا الإحرام وفي تلبيتنا وفي طوافنـا وفي صلاتنا للطواف وفي سـعينا وفي إحلالنـا مـن الإحرام من عمـرة التمتع، ثمّ يـأتي دور الحجّ وما تلك المناسـك... تعلمـون أنّ قلـب المومـن متعلـق بالمسـجد وبالبيـت الحـرام وبالأماكـن المقدسـة وبالحـجّ وبمناسـكه مـن طـواف وسـعي وتقصير وغـيره، لكن تعلـق القلوب يتفاوت من شـخص لآخـر بحسـب قابلياتـه ومـا لديه من وعـي ونضـج ومعرفة بهـذه الأماكن، فمـن يتعلقون بـالله تعالـى يـرون أنّ ميزاب الأنـوار ورحمة الله موجـود فيها، ولو كُشـف لنا الغطـاء لرأينا أنّ المسـاجد و دُور العبـادة هـي محـطّ أنـوارالله ومحـطّ نـزول الرحمـة والفيوضـات الإلهيـة، و ذلـك خـط نـازل مـن الله تعالـى في كلّ مـكان يحمل اسـم مسـجد أو محـل للعبـادة، فقد يتعلـق القلـب أحيانـاً بمسـجد الحـارة، وآخر بمسـجد الجامـع، وثالـث بالمسـجد الحرام، وهـذا ماينبغي للحـاجّ أن يتعلق به. مـن هنا، فإنّ قلب السـالك والعـارف والحاجّ الحقيقي أيضـاً متعلـق بالمسـاجد، لكن لا بالأماكـن بما هي أماكـن، ولا بالأرض بما هـي أرض، وإن

كانت لها الشرافة كالكعبة بما هي كعبة والحرم بما هو حرم، فهو مقدس وله شرافة خاصة وجعله الله تعالى مباركاً وهدىً للعالمين، ومع ذلك هذا الإنسان في حقيقة حجّه لا يتعلق بالمكان بما هو مكان إنّما يتجلّى بالتجليات الإلهية من مرتبة إلى مرتبة... لابدّ أن نعرف هدفنا من الحجّ، هل أتينا ليقال إننا حجيج؟ أو لإسقاط الواجب والتكليف فقط، أو من أجل الحصول على المال، أم أنّ هدفنا هو الله تعالى؟ ليجعل كلّ واحد منّا وجهته نحو الله تعالى كما ذكر القرآن الكريم: ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾.[1] يعني أن تكون حركتنا وهدفنا هو مرضاة الله تعالى، ولنحاول بقدر الإمكان أن نربي أنفسنا حين يزعجنا أحد، ونطلب من الله تعالى أن يوفقنا لأن نتعلق به في كلّ حركة فنتحمل الزحام والضيق لينقلنا إلى مرتبة أخرى. إذاً هدف الحاجّ هو أن يتوجه إلى الله تعالى وهو الكمال المطلق، يعني بالمعنى الأعم والتفصيلي على أننا حتى حين نقول في دعاء الإحرام: «**لبيك بحجة وعمرة معاً لبيك، لبيك هذه عمرة متعة إلى الحجّ لبيك، لبيك تمامها وبلاغها عليك لبيك**»، ويعني أنّ تمام تلك العبادة ليس على الحاجّ بل على الله تعالى، أي أنّ هدفي هو أنت، فليس لديّ قدرة وقابلية أنّ أصِل إلى هذا المستوى وأن تكون حَجتي تامة، ويُقصد ببلاغ الحجّ بالأداء وليس بالحركة وهما أمران مختلفان، فتمامها وكمالها وصولنا إلى هدفنا ونهايتها عليك بقانون الفاعل هو الله، وقد قال تعالى: ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾.[2] ومن الأمور المهمة التي ذكرتها الآية: ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾.[3] أي الهدف الأعلى هو الله تعالى ومرضاته، وقد حصلتم إن شاء الله في الميقات على مقام الغفران؛ لأنه أحد المقامات، وكلّ واحد أعلن توبته ونزع المخيط ولباس المعصية وحبّ الدنيا والعلائق الظلمانية التي تمنعه من

١. سورة الأنعام: ٧٩.

٢. سورة هود: ٨٨.

٣. سورة البقرة: ١٤٤.

الوصـول إلـى الله تعالـى وانطلـق بروحه إليه ثمّ اغتسـل غسـل التوبـة والعودة إلـى الله ثمّ لبـس خلعـة الآخـرة، أي لبـاس الطاعـة، فحصـل علـى معنـى مـن معـاني الغفـران، وهو أعلـى المقامـات... أنصح القـارئ العزيـز، كما أنصح نفـسي، بالتعلـق بالمناجاة الشـعبانية، وأن نعيـش الذكـر حتـى في جلوسـنا المعتـاد، فمن لم يغتب ومـن يحافظ على لسـانه، ومن لم يقـل إلّا الحـقّ وترقت أخلاقه هـو مع الله وذاكر له وذكره هنا سـلوكي. نسـأل الله أن يرزقنا الذوبـان والانصهـار فيـه تعالى، وأن نراه في كلّ حركة وسـكنة وفي كلّ رمشـة عين و نتعلق بـه ونصـل إليـه، وأن يوفّقنا لخـير الدنيا والآخـرة ببركة محمد وآلـه الطيبـين الطاهرين...

(١٤) إطلالـة روحيـة: ... وقـال تعالى في آية النـور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.[١] وهـي مـن غـرر الآيـات؛ لأنّها تشـمل التوحيـد والنبـوة والإمامـة، أي أصـول الديـن بتعبير آخـر، وهذا النـور الموجـود في الميقات هو أيضـاً لقاء نـور الله؛ لأنـه تعالـى نـور، والإنسـان يتبع النـور حيثـما كان، ويقـود الحبيب إلـى محبوبه ومعشـوقه ويحظـى بلقائـه. والميقـات هـو البوابة بالنسـبة للعمـرة أو الحـجّ والموصلة إلى الله تعالـى، وفيـه أعـمال ولفتـات معنوية، منها: نـزع الثيـاب حيث يحصل معـه نزع حبّ الدنيـا ونـزع حبّ الذنـوب والمعاصي، ولبس ثـوب التوبة والطهـارة وهو الإحـرام للّقاء كـما يخـرج الناس يـوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾،[٢] إذ يفـترض أنّ الحـاجّ والمعتمـر متّجـه إلى الله ويفـرّ منه إليه تعالـى، من هنا نسـمّي بوابـة الميقات ببوابة المغفـرة. و من المعلـوم أنّ الله يحبّ التوابين ويحـبّ المتطهرين،

١. سورة النور ٣٥.

٢. سورة المعارج: ٤٣.

فنحن إذا تطهّرنا وتبنا إلى الله ولبسنا لباس الإحرام، أي لباس لقاء الله، لباس النقاء والصفاء، نقول: «أحرم لك جسدي وشعري وكلّ عضو من أعضائي»، وبعد هذا الشوق كي يلتقي الحبيب بالمحبوب... وحينما يتوب الإنسان ويستغفر الله ويرجع إليه تعالى ويزيل عنه الأغيار تزداد عنده القابلية والجذب والانجذاب إلى الله تعالى... وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**تعرّض للرحمة وعفو الله بحسن المراجعة، واستعن على حسن المراجعة بخالص الدعاء والمناجاة في الظُّلَم**»،[1] ويقصد بحسن المراجعة التوبة، وخالص الدعاء والمناجاة في الليل والخلوة مع الحبيب، والاعتراف له بالضعف والمرض: (هذا دائي وأنت دوائي، وأنا المريض وأنت الطبيب، ياطبيب من لا طبيب له)، وبمجرد أن ينقطع الله يدعوه ولسان حاله يقول: (إني أتيتك يا إلهي وقد قطعت المسافات كلّها من أجلك وأنت المحبوب الأوحد...)، كما قال الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: «ما ذا وجد مَن فقدك...»، ...فمهما حصل في الحياة الدنيا من ملذّات ومناصب وزخارف ومال لم يجد شيئاً؛ لأنه سرعان مايذهب، فمن وجد الله حصل على كلّ خير وبركة وكلّ ما يريد في الدنيا والآخرة في الجانب الروحي والمعنوي... في الحديث القدسي للنبي عيسى عليه السلام: «يا عيسى، كم أطيل النظر وأحسن الطلب، والقوم في غفلة لا يرجعون؟»، وتحصل في الليل تجليات خاصة وفي بيت الله وفي عرفة التجليات أعظم وأعظم، فتحدّثوا مع الله كما تريدون أن يحدثكم جلّ وعلا، اقرؤوا القرآن كأنه نازل على قلوبكم، فهو يقول تعالى: ﴿**اللهُ نُورُ السَّماوَاتِ وَالأَرضِ**﴾...، وعن الإمام الباقر عليه السلام «إنّما أمر الناس أن يطوفوا بهذه الأحجار ثمّ ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم، ويعرضوا علينا نصرهم»، أي الولاية وهي كما قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ**﴾.[2] فإذا أصبحنا على هذا

١. بحار الأنوار ٧٥ : ١٦٤.

٢. سورة النساء : ٥٩.

الحال ستخرج الصرخة والمناجاة من أعماق قلوبنا كأمثال الأعلام الكبار، آهٍ آهٍ شوقاً إلى من يراني ولا أراه كما في الدعاء في مفاتيح الجنان في تلك الساعة، إذاً لابدّ أن ندعو وننادي بحقيقة نداء: (لبّيك اللهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك)... لتصلوا مرادكم من الحجّ، وإلّا لو رجع الحاجّ كما كان، فلا فائدة من الحجّ، وحينها يكون حاله كما يعبّر أمير المؤمنين عليه السلام كحمار الطاحون الذي يدور حول نفسه، ونحن حينما ندور حول الكعبة ندور حول أنفسنا، ونعوذ بالله من ذلك...

(١٥) الحجُّ: أسرار و تجليات: ... طبقاً للرأي الفلسفي والعرفاني، ما من شيء إلّا وله وجود في الكون، ولو كُشف لنا الغطاء لعرفنا أنّ أعظم الأماكن التي تجلّى الله فيها لخلقه هو بيته الحرام وهو الذي وفّقنا إليه وحضرنا وطفنا حوله، وهو أول بيت وضع للناس هدىً ومباركاً، بمعنى أنه هو بحدّ ذاته هدىً بغضّ النظر عن الأعمال التي تؤدّى فيه من طواف ودعاء ونسك وصلاة وأعمال الحجّ ومستحبّات الدخول في البيت الحرام والسلام على الكعبة. ولو كُشف لنا الغطاء لسمعنا الكعبة وهي تردّ علينا السلام حين نسلّم عليها بقولنا: «السلام عليك يا كعبة الله»، فهي تحمل روح العبودية لله، كما قال تعالى: ﴿... **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**...﴾[1] فما من شيء إلّا ويعبد الله تعالى ويصلي له، لكن المشكلة أنّ هناك حجباً بيننا وبين تلك المخلوقات، ولو كُشف لنا الغطاء لوجدنا أنّ هذه الموجودات التي نعتبرها جامدة تلهج بعبادة الله تعالى وذكره، لكننا لا نفقه تلك الصلاة والتسبيح بسبب الحجب الموجودة على قلوبنا و أرواحنا... أيّها الحاجّ.. نحن في الحجّ في أيام معدودات، فاغتنموا الفرصة واذهبوا إلى بيت الله وانفتحوا عليه واعترفوا له بذنوبكم ومعاصيكم، لا تستحوا منه فهو الذي دعاكم إليه في هذه الأماكن المقدسة. في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّ لربّكم في أيام دهركم نفحات،**

١. سورة الإسراء: ٤٤.

فتعرّضوا له لعلّه أن يصيبكم نفحة منها فلاتشقون بعدها أبداً». وأنتم حظيتم بهذه النفحات وحرم منها كثيرون يعشقون الحجّ ويتمنون المجيء لكنهم لم يوفقوا، ونحن وفّقنا إلى ذلك فلا تضيّعوا هذه اللحظات، واذهبوا إلى بيت الله واختلوا بأنفسكم بينكم وبين الله وقوموا إليه فرادى، فأنتم بحاجة إلى الخلوة بربكم، والاعتراف إليه وهو من يقول: «يا داود، إنّ العارفين بي كحلوا أعينهم بمرود السهر، وقاموا ليلهم يسهرون، يطلبون بذلك مرضاتي، يا داود، إنه مَن يصلّي بالليل والناس نيام يريد بذلك وجهي، فإنّي آمر ملائكتي أن يستغفروا له وتشتاق إليه جنّتي، ويدعو له كلّ رطب ويابس». هذه موارد الذكر والرضا الإلهي، فحين يقوم العبد ويصلي ركعتين لوجه الله في الليل تستغفر له الملائكة، وكلّ الوجود من رطب ويابس تدعو له، وأيّ دعاء في هذه الأماكن سيكون إذا دعت له الكعبة المقدسة بذاتها والبيت المقدس والحرم الشريف وهذه الأماكن الإلهية التي يرتادها الحجّاج في كلّ مكان بالتسديد والتأييد والانقطاع والاخلاص لله...

(١٦) عرفة أرض العرفان والمعرفة: قال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾[1] موقف عظيم نفقه في ساحة القدس في حضرة ولّيه الأعظم عليه السلام، فلنتوجه قليلاً ولنستمع لعلّ في هذه الكلمات لله رضاً ولنا فيها صلاحاً، نسأل الله تعالى أن يجذبنا بجذباته ويأخذ بأيدينا إليه، وهذه الآية المباركة تحثّنا على ذكره وشكره، وأيّ وقت هو أولى بذكره من هذا اليوم ونحن في أقدس بقعة في يوم عظيم تعجّ فيه الأصوات بالدعاء لله تعالى... وهذا يوم عرفة وهو يوم دعاء الإمام الحسين وتجلّيه عليه السلام بتلك الدعوات حيث يصعد على أرض عرفات أمام الحضرة الإلهية داعياً: «**وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبّائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجئوا...**»، إلى أن يقول عليه السلام: «**ما ذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك**»، فالله عزّ وجلّ

١. سورة البقرة: ١٥٢.

موجـود في كلّ شيء، لكـن علينـا أن نزيـل الأغيـار... فقـد جـاء في الأثـر أنّ روح المومن أشـدّ اتصـالاً بـالله من اتصال شـعاع الشـمس بالشـمس نفسـها، وأول خطـوة للوصول إلـى ذلـك هـي الرجـوع إلـى الله تعالـى بالتوبـة الخالصة، وهـذا اليـوم يوم عرفـة والحجّ عرفـة وهـو يـوم التوبة وهذه السـاعات سـاعات الإنابة، وهـو تعالى يدعونا للعـودة إليه فلانضيـع الفرصـة... إنّنـا نعتقد اعتقـاداً راسـخاً بأننا مشـمولون بالرحمة الإلهيـة والكرم الإلهـي مع وليّ الله الأعظـم عليه السلام، بوجوده تعمّ البركة، وببركته يسـتجاب الدعاء، فاجهدوا بالدعـاء وطلـب المغفـرة والتوجّه إليه تعالـى بقول: «**أللهـمّ اغفر لى الذنـوب التى تحبس الدعـاء، أللهـمّ اغفـر لى الذنوب التـى تنزل البلاء، أللهـمّ اغفر لى كلّ ذنـب أذنبته، وكلّ خطيئـه أخطأتهـا**»... فعرفـة مقـام معرفـة الله ومعرفـة نبيّـه ومعرفـة وليّ الله الأعظم عليه السلام، وربـما يقـف عليها مـن معرفة قـوى هـذه النفس وظاهرهـا وذلّهـا واسـتصغارها ومعرفة باطنهـا وظاهرهـا وحضـوراً شـهوديّاً بين يـدى الله، مـن هنا يقـوى الارتباط بـالله تعالى المجـرّب معـه تعالـى في عـالم الأنـوار وعـالم الملكـوت فيتحقق للحـاجّ موقـف التأمل في المكتسـبات الروحيـة والمعنوية والمعرفيـة والأخلاقية والفكرية وغيرهـا، وهل زاد رصيده الإيـماني أو لا؟! فإنـه كلّـما ترجم ذلك عمليّـاً على سـلوكه وفي توجهـه ازدادت إشراقاته الملكوتيـة والمعنويـة والروحية، وعرفـة اعتراف وإقـرار للحبيب والمعشـوق الأوحد جلّ وعـلا بالتقصـير والمعصيـة والذنـوب والآثـام ولا يكـون ذلـك إلّا مـن خـلال المعرفـة، والوقـوف بعرفـة فرصة للحـاجّ يتفرغ فيها بالإقـرار بذنوبـه وبتقصيره إلـى الله تعالى... إنّ عرفـة عرفـان وارتقـاء روحي ومعنوي في العلاقـة مع الله، يدرك الحـاجّ من خلالها بأنه تعالـى عـالم بـكلّ شيء عنده مـن البـدن والنفس والعقـل والفـؤاد والجـوارح والجوانح، مـن ظاهـره وباطنـه، فهو مـع الحـاجّ في نيّته وإخلاصـه في الطاعـة وفي سريرتـه وإعلانه، فلذلـك أخلصـوا له تعالـى واطلبـوا منه أن يرزقكـم التوفيـق في إخلاص النية وتوسّـلوا بمحمـد صلى الله عليه وآله وآل محمـد عليهم السلام ليوفقكـم للنية الخالصـة ويمنحكم التوجه المنقطـع النظير في مثـل هـذا اليوم بالدعاء والانقطـاع، وأن يجعل هذه الروح متعلقـة بالملإ الأعلى في حضرة

القـدس الإلهـي ... لقدعجّـت الأصوات بصنـوف اللغات وقد خرج الإمام الحسـين عليه السلام يـوم عرفـة بسـكينة مـن فسـطاطه وتذلّل بين يـدي الله وهـو يناجيه كاسـتطعام المسـكين الذليـل في حالـة عرفانيـة وفي قمّـة الانقطـاع إليـه عزّوجـلّ، وفي أرض كربـلاء خرج عليه السلام من فسـطاطه مع أهـل بيته وأطفاله ونسـائه ووقفوا تحت الشـمس يدعـون الله ويضجّون ويناجـون وينقطعـون إليـه بالبـكاء، وقد سـطّر عليه السلام حقيقة دعـاء عرفة والعرفـان والمعرفة في كربـلاء حيـث رحل مضرّجـاً بدمه وجسـده مقطّعاً إربـاً إرباً جثة بـلا رأس ولم يكفهم ذلـك حتـى جالـت الخيول علـى صـدره عليه السلام، فـإذا أردنـا أن نتوجه إلـى الله فلنتوسّـل به وبقـراءة دعائـه عليه السلام، وحينـما نزوره إنّما نـزور معه علي الأكـبر وعبدالله الرضيـع الذي ذُبح علـى صـدر أبيـه، مـن الوريـد إلى الوريـد، وفي هـذا اليـوم هناك بـكاءٌ وعويـلٌ في أرض عرفـة وفي أرض كربـلاء، فلننقـل أنفسـنا مـع زوّار الحسـين عليه السلام، فـالله تعالى ينظـر إليهم قبـل أن ينظر إلـى الحجّـاج في أرض عرفة.

***